

قال الشاعر محمد رضا الشبيبي :
فتنة الناس – وقينا الفتنا -
باطل الحمد ، ومكذوب الثنا
رب جهنم حولاه قمرا
وقبيح صبراه حسنا
أيها المصلح من أخلاقنا
أيها المصلح الداء هنا
كلنا يطلب ما ليس له
كلنا يطلب ذا، حتى أنا
ربما تعجبنا مخضرة
أربع في الأصل كانت دمنا
لم تزل ويحك يا عصر أفق
عصر القاب كبار، وكفى
حكم الناس على الناس بما
سمعوا عنهم، وغضوا الأعين
فاستحالت – وأنا من بعضهم -
أذني عينا، وعيني أذنا
إننا نجني على أنفسنا
حين نجني، ثم ندعو من جنى
بلغ الناس الأماني حقها
وبلغناها، ولكن بالمنى

يتضح جليا ما يورده الشاعر من ظواهر اجتماعية، اقل ما يمكن أن توصف به بأنها امراض اجتماعية نحرف فيها المجتمع عن السلوك القويم الذي يستند الى منظومة تضمن له الاعتدال سواء اكانت منظومة دينية و منظومة أخلاقية، أو عرفية، يمكن ان يعتدل سلوك الفرد ومن ثم المجتمع احتكاما الى أطرها التربوية والاخلاقية العامة .

وثمة أسئلة لا بد من طرحه لكي نكشف عن البعد الاجتماعي الذي ينطوي عليه هذا النص . هذا السؤال هو ما الظاهرة الاجتماعية التي يركز عليها الشاعر؟ وما آثارها علة المجتمع ؟ وفي أي عصر؟ وما موقف الأديب منها ؟

ويمكن أن نحصر تلك الظاهرة التي أورد الشاعر صورا وممارسات متعددة لها في المجتمع بـ(النفاق الاجتماعي)، ولكن ما المجتمع الذي يتحدث عنه وفي أي عصر؟ إنه المجتمع اشاعر الذي عايشه وهو المجتمع العراقي، ويمكن أن نؤطر زمن تلك الظاهرة بحياة الشاعر؟

يقف الشاعر من تلك الظاهرة موقفا سلبيا معددا من مظاهرها الهدامة صورا وممارسات تكرر معنى النفاق الاجتماعي والآثار السلبية لانتشاره في المجتمع، الذي يظل غارقا في اتون الجهل والتخلف ما دام لا يجد للصدق والعدالة موقعا في حياتهم ويحدد ذلك الداء الاجتماعي بأشد ما يوصف به عارض كارثي على أي مجتمع في قوله (فتنة الناس)، فهي إذا فتنة وما حدود ذلك المرض وتشخيصه، نجد ذلك في قوله : (باطل الحمد ، ومكذوب الثنا) ن وهذا التعبير معادل للنفاق الاجتماعيين ومنه تتفرع صور متعددة ، فالقبيح جميل، والجهنم قمر.. وتستمر وتيرة تعدد آثار ذلك المرض الاجتماعي الذي صرح بوصف الرغبة في اللجوء إلى المصلح لمعالجة المرض (أيها المصلح :

الداء هنا) ومن ظواهر ذلك الداء : (كلنا يطلب ما ليس له) ولم يستثن الشاعر نفسه من ذلك . ومن تلك الظواهر أيضا (أن عصره: عصر ألقاب كبار) وأن الناس فتنوا بالداعية والاشاعة دون التثبت من الحقيقة (حكم الناس على الناس بما سمعوا عنهم، وغضوا الأعين) ولم تكن تلك الخصلة خاصة بل هي عامة شملت الشاعر نفسه .

ثم لا يلبث الشاعر أن يخرج من حدود ذلك لمجتمع المغلق على امراضه وجهله الى مقارنته بالشعوب المتقدمة، ولاسيما في دول الاستعمار التي كانت تستعمر البلاد العربية والإسلامية وسواها وتراه يرجع الضعف والتخلف والخضوع للشعوب نفسها التي تجني على نفسها، ثم تلصق التهمة بسواها، في قوله (إننا نجني على أنفسنا .. ثم ندعو من جنى) وعند المقارنة، يجد أن تلكم لشعوب قد بلغت الاماني (بلغ الناس الأماني حقها) في حين اكتفى شعبه ببلوغ المعاني من خلل اطلاق الامنيات : (وبلغناها، ولكن بالمئى) . وفي الختام بعد قراءة الخطاب في ذلك النص الذي يمتاز بالوضع والصراحة، نجد أن الشاعر قد حدد الظاهرة، ونقدها باستعراض صورها السيئة، وحذر من أثارها المستقبلية، واتخذ موقف الناقد منها داعيا لإصلاحها .